

الباب الرابع

كتاب تفسير بسم الله الرحمن الرحيم لأحمد يسّ بن أشموني وتفسيره واتجاهاته

أ. التعريف بالكتاب

١. اسم الكتاب وبواعث التأليف

اسم الكتاب هو "تفسير بسم الله الرحمن الرحيم" قد جمعها أحمد بن أشموني الجاروني أو المشهور بكياهي الحاج أحمد يسّ أشموني، وبواعث تأليفه كما قاله في مقدمة كتابه: قد جمعته لأن البسمة آية ينبغي لنا أن نعرف حقيقة معانيها وفوائدها، وقيل أن جميع ما في الكتب المتقدمة هو في القرآن الكريم، وجميعه في الفاتحة، وجميعها في البسمة، وجميعها تحت نقطة الباء المنطوية، وهي على كل الحقائق والدقائق محتوية ولعله أشار إلى نقطة التوحيد التي عليها مدار سلوك أهل التفريد، وهي أم القرآن هي السبع المثاني لاشتمالها على كليات المعاني التي في القرآن.^١

وقال بعض أهل المعرفة: البسمة كلمة قدسية من كنز الهداية، وخلعة ربوبية من خلع الولاية، ووصلة قريبة لأهل العناية، ورحمة خاصة لأهل الجناية.^٢ إن الله تعالى ذكره، وتقدّست أسمائه، أدّب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله، وتقدّم إليه في وصفه بها قبل جميع مهماته، وجعل ما أدّب به من ذلك، وعلمه إياه منه لجميع

^١ أحمد يسّ بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم (كديري: المعهد الإسلامي السلفي هداية

الطلاب، د.ت)، ٢-٣.

^٢ أحمد يسّ بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٥٥.

خلقه، سنة يستنون بها، وسبيلا يتبعونه عليها في افتتاح أوائل منطقتهم، وصدور رسائلهم، وكتبهم وحاجتهم.^٣

٢. مضمون الكتاب وتبويب البحث

هذا الكتاب جمعه أحمد يس بن أشموني، وهو تفسير عن آية بسم الله الرحمن الرحيم بيانا طويلا كافيا يشمل البيان حول الكلام، وآراء المتكلمين والعقيدة، واللغة، والتصوف العملي، والفلسفي بما نظر فيه الباحث، وهو جمع مذاهب آراء العلماء المتكلمين، واللغويين، والفلاسفة في بيانه وتفسيره.

والمباحث تنقسم إلى ثمانية مباحث، يعنى: المقدمة، ومباحث الباء، ومباحث الإسم وهو نوعان، الأولى ما يتعلق من المباحث النقلية بالإسم، والثانية ما يتعلق من المباحث العقلية بالإسم، والبحث عن الأسماء الدالة على الصفات الحقيقية والأسماء الدالة على الصفات الإضافية، والمباحث المتعلقة بقولنا "الله"، والمباحث عن الأحاديث الصحيحة في فضائل البسملة الشريفة، والمسائل المتعلقة بأحوال البسملة، والخصائص في قراءة البسملة وبيان عددها، والخصائص في كتابة البسملة الشريفة وفي حملها.

٣. طبع الكتاب

طبع هذا الكتاب طبعة مجب سنة ١٤١٦ هـ يطلب من المعهد الإسلامي السلفي فُطُو سمين كديرى الذي كتبه محمد محفوظ رضوان السيوطي، يعنى يكتب على ٦٥ صفحة باللغة العربية،

^٣ أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٤.

وهو من كتب التراث. وكان هذا الكتاب طوله ٢٦ cm وعرضه ١٩ cm. ولون غلافه أخضر، ومكتوب في غلافه موضوع هذا الكتاب: تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ويليه اسم المؤلف يعني: أحمد يسّ بن أشموني الجاروني، يطلب من المعهد الإسلامي السلفي فطؤ سمين كديري، حقوق الطبع محفوظة.

وفي صفحة الأخيرة مكتوب عن إعلان مدرسة هداية الطلاب وجدوال الدراسية والمصنفات التي ألفه أحمد يسّ بن أشموني الجاروني المنشورة يعني: (١) تسهيل المضحي باللغة الجاوية، (٢) تسهيل الطلاب باللغة الإندونيسية، (٣) فوائد النحو باللغة الإندونيسية، (٤) رسالة الجماعة، (٥) تحقيق الحيوان، (٦) مراجع المياه، (٧) فقه الزكاة، (٨) مقدّمة تفسير الفاتحة، (٩) رسالة الصيام، (١٠) تفسير الفاتحة، (١١) فضائل العبادات، (١٢) تعبير الرؤيا، (١٣) تفسير سورة الإخلاص، (١٤) قرّة العين، (١٥) الزهر النضر في بناء الخضر، (١٦) الفجر الصادق في الردّ على الوهابية، (١٧) الدرّ السنّيّة في زيارة القبور، (١٨) تفسير المعوذتين، (١٩) إثبات كرامات الأولياء، (٢٠) صلو عليه، (٢١) ساعة الشمس، (٢٢) ساعة القمر، (٢٣) شروح ألفاظ الصلوات، (٢٤) أشراف الساعة، (٢٥) خلاصة التصانيف، (٢٦) تفسير ما أصابك، (٢٧) بدائع الزهور، (٢٨) اللعة الغرق، (٢٩) كرامات الصحابة، (٣٠) تفسير آية الكرسي، (٣١) تفسير حسبنا الله، (٣٢) المنجية من عذاب القبر، (٣٣) دار البرزخ، (٣٤) تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، (٣٥) البسمة من جهة العلوم، (٣٦) استجابته دعاء الرسول، (٣٧) الفوائد في النكاح،

(٣٨) مناقب الغزالي، وكل هذه الكتب باللغة العربية. وفي خلف هذا الغلاف مكتوب المعلومات عن المعهد هداية الطلاب الإسلامي للبنين والبنات.

ب. تفسيره واتجاهاته في كتابه تفسير بسم الرحمن الرحيم

إن الدراسة عن أصول التفسير في العصر الحديث لا تتخلى عن الحوار حول طرق التفسير واتجاهاته وأساليبه، والحقيقة بحث المصطلحات لا يكاد أن تجد لها ذكراً عند أصحاب الدراسات القرآنية الأوائل.^٤ ومن المعلوم أنه من الواجب أن يؤدي الدارس في التفسير أن يعرف عن المفسرين وتفسيرهم ومناهجهم وطرقهم معرفة مجمل، والمراد أن هذا كله يشتمل على المعرفة بالمفسر ونسبه، وعلمه، والتزامه ومنهجيته، ونتاجه وجهوده، وهدفه من التفسير ومنهجه فيه، وتقويم ذلك التفسير، ومعرفة ما فيه من خير وفائدة، وجدة وإضافة، ومعرفة ما عليه مأخذ.^٥

وقال فهد الرومي عن اتجاهات التفسير في رسالته الدكتوراة "اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر" هي الاتجاه العقائدي، والاتجاه العلمي، والاتجاه الأدبي، والاتجاه الاجتماعي، وبعض الاتجاهات المنحرفة.^٦ أما الدكتور المحتسب يقول في كتابه بعض الاتجاهات هي الاتجاه السلفي،

^٤ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه (الرياض: مكتبة التوبة، د.ت)، ٥٥.

^٥ صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين (دمشق: دار القلم، ٢٠٠٨)، ٢١-٢٢.

^٦ الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، (الرياض: المؤسسة الرسالة، ١٩٩٧)، ٤٩، ٤١٤، ٨٦٠، ١٠٥٥.

والإتجاه العقلي التوفيقى يوفّق بين الإسلام والغرب، والإتجاه العلمى.^٧ وأما الباحث ذكر عن إتجاهات التفسير وهى تتكون من الإتجاه الكلامى، والإتجاه اللغوى، والإتجاه الإجتماعى، والإتجاه العلم، والإتجاه الفلسفى، والإتجاه التربوى، والإتجاه الفقهى، والإتجاه الصوفى، والإتجاه الدعوى الحركى، والإتجاه العقلي، والإتجاه البيانى.

وبعد أن قرأ الباحث كتابه ومبحث ونظر فيه بنظر النظرية حصل الباحث أنه فسّر بسم الله الرحمن الرحيم بالإتجاهات المتنوعة حسب أهليته المتنوعة فى شتى العلوم. أما الإتجاهات المتنوعة يعنى:

١. الإتجاه الكلامى

بأن يطلق على العلم الذى يتضمن الحجج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، فإنه يفسر عن لفظ الإسم فى كلمة بسم الله الرحمن الرحيم بيان طويل حسب اثنان وثلاثين صفحة، يفسرها ويعلقها بالحجج العقلية والعقائد الإيمانية، وقدّم آراء المتكلمين فيه مثل المعتزلة، والكرامية، والأشعرية، والحشوية، وذكر اسم أحد المعتزليين يعنى جهم بن صفوان. وبعد ذكر آرائهم قدّم أحمد يسّ بن أشموني مذهبه وآراءه، وبينّ تفريق آرائه وآرائهم أو موافقتهم.

^٧عبد المجيد عبد السلام المحتسب، إتجاهات التفسير فى العصر الراهن (الأردن: مكتبة النهضة الإسلامية، ١٩٨٢)، ٤١، ١٠١، ٢٤٠.

وسياتي المثال قريبا عن اتجاه الكلامي لأحمد يس بن أشموني في تفسيره، يقدم الباحث بيانا طويلا كافيا في المثال، وهو ويقسم المباحث إلى أربعة في تفسير لفظ "الإسم"، يعنى الأولى ما يتعلق من المباحث العقلية بالإسم، وقال فيه مسائل.

المسألة الأولى: قالت الحشوية والكرامية والأشعرية: الإسم نفس المسمى وغير التسمية، وقالت المعتزلة: الإسم غير المسمى ونفس التسمية، والمختار عندنا (أي قاله أحمد يس بن أشموني) أن الإسم غير المسمى وغير التسمية. وقيل الخوض في ذكر الدلائل لا بد من التنبيه على مقدمة، وهي أن قول القائل "الإسم هل هو نفس المسمى أم لا" يجب أن يكون مسبوقا ببيان أن الإسم ما هو، وأن المسمى ما هو، حتى ينظر بعد ذلك في أن الإسم هل هو نفس المسمى أم لا، فنقول: إن كان المراد بالإسم هذا اللفظ الذى هو أصوات مقطعة وحروف مؤلفة، وبالمسمى تلك الذوات فى أنفسها، وتلك الحقائق بأعيانها، فالعلم الضرورى حاصل بأن الإسم غير المسمى، والخوض فى هذه المسئلة على هذا التقدير يكون عبثا، وإن كان المراد بالإسم ذات المسمى، وبالمسمى أيضا تلك الذات كان قولنا الإسم هو المسمى معناه أن ذات الشئ عين الشئ، وهذا وإن كان حقا إلا أنه من باب إيضاح الواضحات وهو عبث، فثبت أن الخوض فى هذا البحث على جميع التقديرات يجرى مجرى العبث.^٨

^٨أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٧.

إذا نظرنا هذا البيان فإن أحمد يس بن أشموني قدّم المذاهب الكلامية، يعني الحشوية، والكرامية، والأشعرية، والمعتزلة في بيان أن الإسم هل هو نفس المسمى أو التسمية أو غيرهما، واختار أن الإسم غير المسمى وغير التسمية، ويّين أن الخوض في هذه المسئلة على هذا التقدير يكون عبثا.

والمسألة الثانية: اعلم أنا استخرجنا لقول من يقول الإسم نفس المسمى تأويلا لطيفا دقيقا، وبيانه أن الإسم إسم لكل لفظ دلّ على معنى من غير أن يدلّ على زمان معيّن، ولفظ الإسم كذلك، فوجب أن يكون لفظ الإسم إسم لنفسه، فيكون لفظ الإسم مسمى بلفظ الإسم، ففي هذه الصورة الإسم نفس المسمى، إلى أن فيه إشكالا، وهو أن كون الإسم اسما للمسمى من باب الإسم المضاف، وأحد المضافين لا بد وأن يكون مغايرا للآخر.^٩

والبيان في هذه المسألة بيّن قليلا عن قاعدة النحو من باب المضاف، يعني أن كون الإسم اسما للمسمى من باب الإسم المضاف، وأحد المضافين لا بد وأن يكون مغايرا للآخر، ولكن يقصد هذا البيان إلى المعنى الكلامي.

والمسألة الثالثة في ذكر الدلائل الدالة على أن الإسم لا يجوز أن يكون هو المسمى، وفيه

وجوه:

الأول: أن الإسم قد يكون موجودا مع كون المسمى معدوما، فإن قولنا "المعدوم منفي" معناه سلب لا ثبوت له، والألفاظ موجودة مع أن المسمى بما عدم محض ونفي صرف، وأيضا قد يكون المسمى موجودا والإسم معدوما مثل الحقائق التي ما وضعوا لها أسماء معينة، وبالجملة فثبوت كل واحد منها

^٩ أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٧-٨.

حال عدم الآخر معلوم مقرر وذلك يوجب المغايرة. والثاني: أن الأسماء تكون كثيرة مع كون المسمى واحد كالأسماء المترادفة، وقد يكون الإسم واحد والمسميات كثيرة كالأسماء المشتركة، وذلك أيضا يوجب المغايرة. والثالث: أن كون الإسم اسما للمسمى وكون المسمى مسمى بالإسم من باب الإضافة كالمالكية والمملوكية، واحد المضافين مغاير للآخر ولقائل أن يقول: يشكّل هذا بكون الشيء عالما بنفسه. والرابع: الإسم أصوات مقطعة وضعت لتعريف المسميات، وتلك الأصوات اعراض غير باقية، والمسمى قد يكون باقيا، بل يكون واجب الوجود لذاته. والخامس: أنا إذا تلفظنا بالنار والتلج فهذان اللفظان موجودان في ألسنتنا، فلو كان الإسم نفس المسمى لزم أن يحصل في ألسنتنا النار والتلج، وذلك لا يقوله عاقل. والسادس: قوله تعالى "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها" وقوله عليه الصلاة والسلام "إن لله تعالى تسعا وتسعين اسما" فهنا أن الأسماء كثيرة والمسمى واحد وهو الله عزّ وجلّ. والسابع: أن قوله تعالى "بسم الله" وقوله "تبارك اسم ربك" ففي هذه الآيات يقتضي إضافة الإسم إلى الله تعالى وإضافة الشيء إلى نفسه محال. والثامن: إنا ندرك تفرقة ضرورية بين قولنا اسم الله، وبين قولنا اسم الإسم، وبين قولنا الله الله، وهذا يدل على أن الإسم غير المسمى. والتاسع: إنا نصف الأسماء بكونها عربية وفارسية فنقول: الله اسم عربي، وخداى اسم فارسي، وأما ذات الله تعالى فممنزه عن كونه كذلك. والعاشر: قال الله تعالى "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها" أمرنا بأن ندعو الله بأسمائه فالإسم آلة الدعاء، والمدعوّ هو الله تعالى، والمغايرة بين ذات المدعوّ وبين اللفظ الذى يحصل به الدعاء معلوم بالضرورة. واحتجّ من قال الإسم هو المسمى بالنص والحكم، أما النص فقوله تعالى "تبارك اسم ربك" والمتبارك المتعالى هو الله تعالى لا الصوت ولا الحرف، وأما الحكم فهو أن الرجل إذا قال: زينب طالق، وكان زينب اسما لامرأته وقع عليها الطلاق، ولو كان

الإسم غير المسمى لكان قد وقع الطلاق على غير تلك المرأة، فكان يجب أن لا يقع الطلاق عليها. والجواب عن الأول أن يقال: لم لا يجوز أن يقال: كما أنه يجب علينا أن نعتقد كونه تعالى منزها عن النقائص والآفات، فكذلك يجب علينا تنزيه الألفاظ الموضوعة لتعريف ذات الله تعالى وصفاته عن العبث والرفث وسوء الأدب. وعن الثاني أن قولنا زينب طالق معناه أن الذات التي يعبر عنها بهذا اللفظ طالق، فلهذا السبب وقع الطلاق عليها.^{١٠}

والمسألة الرابعة: التسمية عندنا غير الإسم، والدليل عليه أن التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف الذات المعينة، وذلك التعيين معناه قصد الواضع وإرادته، وأما الإسم فهو عبارة عن تلك اللفظة المعينة، والفرق بينهما معلوم بالضرورة.^{١١}

والمسألة الخامسة: قد عرفت أن الألفاظ الدالة على تلك المعاني تستتبع ذكر الألفاظ الدالة على ارتباط بعضها ببعض، فلهذا السبب الظاهر وضع الأسماء والأفعال سابق على وضع الحروف، فأما الأفعال والأسماء فأيهما أسبق؟ الأظهر أن وضع الأسماء سابق على وضع الأفعال، ويدل عليه وجوه: الأول: أن الإسم لفظ دال على الماهية، والفعل لفظ دال على حصول الماهية بشيء من الأشياء في زمان معين، فكان الإسم مفردا والفعل مركبا، والمفرد سابق على المركب بالذات والرتبة، فوجب أن يكون سابقا عليه في الذكر واللفظ. الثاني: أن الفعل يمتنع التلفظ به إلا عند الإسناد إلى الفاعل، أما اللفظ الدال على ذلك الفاعل فقد يجوز التلفظ به من غير أن يسند إليه الفعل، فعلى هذا الفاعل غني عن الفعل، والفعل محتاج إلى الفاعل، والغنى سابق بالرتبة على المحتاج، فوجب أن

^{١٠} أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٨-٩.

^{١١} أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٩.

يكون سابقا عليه في الذكر. الثالث: أن تركيب الإسم مع الإسم مفيد، وهو الجملة المركبة من المبتدأ والخبر، أما تركيب الفعل مع الفعل فلا يفيد البتة، بل ما لم يحصل في الجملة الإسم لم يفد البتة، فعلمنا أن الإسم متقدم بالرتبة على الفعل، فكان الأظهر تقدمه عليه بحسب الوضع.^{١٢}

والمسألة السادسة: قد علمت أن الإسم قد يكون اسما للماهية من حيث هي هي، وقد يكون اسما مشتقا وهو الإسم الدال على كون الشيء موصوفا بالصفة الفلانية كالعالم والقادر، والأظهر أن أسماء الماهيات سابقة بالرتبة على المشتقات، لأن الماهيات مفردات والمشتقات مركبات والمفرد قبل المركب.

والمسألة السابعة: يشبه أن تكون أسماء الصفات سابقة بالرتبة على أسماء الذوات القائمة بأنفسها، لأننا لا نعرف الذوات إلى بواسطة الصفات القائمة بها، والمعرف معلوم قبل المعرف والسبق في المعرفة يناسب السبق في الذكر.^{١٣}

والمسألة الثامنة: في أقسام الأسماء الواقعة على المسميات. اعلم أنها تسعة، فأولها الإسم الواقع على الذات، وثانيها الإسم الواقع على الشيء بحسب جزء من أجزاء ذاته كما إذا قلنا للجدار أنه جسم وجوهر، وثالثها الإسم الواقع على الشيء بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته كقولنا للشيء إنه أسود وأبيض وحر وبارد فإن السواد والبياض والحرارة والبرودة صفات حقيقية قائمة بالذات لا تعلق لها بالأشياء الخارجية، ورابعها الإسم الواقع على الشيء بحسب صفة إضافية فقط كقولنا للشيء

^{١٢} أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٩-١٠.

^{١٣} أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ١٠.

إنه معلوم ومفهوم ومدكور ومالك ومملوك، وخامسها الإسم الواقع على الشئ بحسب حالة سلبية كقولنا إنه أعمى وفقير وقولنا إنه سليم عن الآفات خال عن المخلفات، وسادسها الإسم الواقع على الشئ بحسب صفة حقيقية مع صفة إضافية كقولنا للشئ إنه عالم قادر فإن العلم عند الجمهور صفة حقيقية ولها إضافة إلى المعلومات والقدرة صفة حقيقية ولها إضافة إلى المقدورات، وسابعها الإسم الواقع على الشئ بحسب صفة حقيقية مع صفة سلبية كالمفهوم من مجموع قولنا قادر لا يعجز عن شئ وعالم لا يجهل شيئاً. وثامنها الإسم الواقع على الشئ بحسب صفة إضافية مع صفة سلبية. وتاسعها الإسم الواقع على الشئ بحسب مجموع صفة حقيقية وإضافي وسلبية، فهذا هو القول في تقسيم الأسماء، وسواء كان الإسم اسماً لله سبحانه وتعالى أو لغيره من أقسام المحادثات فإنه لا يوجد قسم آخر من أقسام الأسماء غير ما ذكر. ^{١٤}

المسألة التاسعة في بيان أنه هل لله تعالى بحسب ذاته المخصوصة اسم أم لا؟ وقال: اعلم أن الخوض في هذه المسألة مسبوقة بمقدمات عالية من المباحث الإلهية. المقدمة الأولى: إنه تعالى مخالف لخلقه لذاته المخصوصة لا لصفة، والدليل عليه أن ذاته من حيث هي مع قطع النظر عن سائر الصفات إن كانت مخالفة لخلقه فهو المطلوب، وإن كانت مساوية لسائر الذوات فحيث تكون مخالفة ذاته لسائر الذوات لا بد وإن يكون لصفة زائدة، فاختصاص ذاته بتلك الصفة التي لأجلها وقعت المخالفة إن لم يكن لأمر البتة فحيث لم يزل رجحان الجائز لا المرجح، وإن كان لأمر آخر لزم إما التسلسل وإما الدور وهما محالان، فإن قيل هي قولنا فهذا يقتضي أن تكون خصوصية تلك الصفة لصفة أخرى ويلزم منه التسلسل وهو محال. المقدمة الثانية: إنا نقول إنه تعالى ليس بجسم ولا جوهر،

^{١٤} أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم ، ١٠-١١.

لأن سلب الجسمية والجوهرية مفهوم سلبي، وذاته المخصوصة أمر ثابت، والمغايرة بين السلب والثبوت معلوم بالضرورة، وأيضا فذاته المخصوصة ليست عبارة عن نفس القادرية والعالمية، لأن المفهوم من القادرية والعالمية مفهومات إضافية، وذاته ذات قائمة بنفسها، والفرق بين الموجود القائم بالنفس وبين الإعتبارات النسبية والإضافية معلوم بالضرورة. المقدمة الثالثة في بيان أنا في هذا الوقت لا نعرف ذاته المخصوصة ويدل عليه وجوه، الأول: إذا رجعنا إلى عقولنا وأفهامنا لم نجد عند عقولنا من معرفة الله تعالى إلا إلى أحد أمور أربعة: إما العلم بكونه موجودا، وإما العلم بدوام وجوده، وإما العلم بصفات الجلال وهي الإعتبارات السلبية، وإما العلم بصفات الإكرام وهي الإعتبارات الإضافية، وقد ثبت بالدليل أن ذاته المخصوصة مغايرة لكل واحد من هذه الأربعة، فإنه ثبت بالدليل أن حقيقته غير وجوده، وإذا كان كذلك كانت حقيقته أيضا مغايرة لدوام وجوده، وثبت أن حقيقته غير سلبية وغير إضافية، وإذا كان لا معلوم عند الخلق إلا أحد هذه الأمور الأربعة وثبت أنها مغايرة لحقيقته المخصوصة، ثبت أن حقيقته المخصوصة غير معلومة للبشر.^{١٥}

والثانية البحث عن الأسماء الدالة على الصفات الحقيقية، وهذا البحث ينقسم إلى ثلاثة

أقسام: (الأول) الأسماء الدالة على الوجود وفيه مسائل:

المسألة الأولى: أطبق الأكثرون على أنه جوز تسمية الله تعالى باسم الشئ ونقل عن جهم

بن صفوان أن ذلك غير جائز، أما حجة الجمهور فوجوه: الحجة الأولى: قوله تعالى "قل أيّ شئ

أكبر شهادة، قل الله"، وهذا يدلّ على أنه يجوز تسمية الله باسم الشئ، فإن قيل لو كان الكلام

^{١٥} أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ١١-١٢.

مقصورا على قوله "قل الله" لكان دليلكم حسنا، لكن ليس الأمر كذلك بل المذكور هو قوله تعالى "قل الله شهيد بيني وبينكم"، وهذا كلام مستقلّ بنفسه، ولا تعلق له بما قبله، وحينئذ لا يلزم أن يكون الله تعالى مسمى باسم الشئ. الحجة الثانية: قوله تعالى "كل شئ هالك إلا وجهه"، والمراد بوجهه ذاته، ولو لم تكن ذاته شيئا لما جاز استثناءه عن قوله "كل شئ هالك" وذلك يدلّ على أن الله تعالى مسمى بالشئ. الحجة الثالثة: قوله عليه السلام في خبر عمران بن الحصين "كان الله ولم يكن شئ غير"، وهذا يدلّ على أن اسم الشئ يقع على الله تعالى. الحجة الرابعة: روى عبد الله الأنصاري في الكتاب الذي سماه بالفاروق عن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من شئ أغير من الله عزّ وجلّ". الحجة الخامسة: أن الشئ عبارة عما يصحّ أن يعلم ويخبر عنه، وذات الله تعالى كذلك، فيكون شيئا.^{١٦}

واحتجّ جهم بوجوه: (الحجة الأولى) قوله تعالى "الله خالق كل شئ" وكذلك قوله "وهو على كل شئ قدير"، فهذا يقتضى أن يكون كل شئ مخلوقا وقدورا، والله تعالى ليس بمخلوق ولا مقدور، ينتجّ أن الله تعالى ليس بشئ. فإن قالوا أن قوله تعالى "الله خالق كل شئ" وقوله "وهو على كل شئ قدير" عام دخله التخصيص، قلنا الجواب عنه من وجهين: الأول أن التخصيص خلاف الأصل والدلائل اللفظية يكفى في تقريرها هذا القدر، الثاني أن الأصل في جواز التخصيص هو أن أهل العرف يقيمون الأكثر مقام الكلّ: فهذا السبب جوّزوا دخول التخصيص في العموميات، إلا أن إجراء الأكثر مجرى الكلّ إنما يجوز في الصورة التي يكون الخارج عن الحكم حقيرا قليل القدر فيجعل وجوده كعدمه، ويحكم على الباقي بحكم الكلّ، فثبت أن التخصيص إنما يجوز

^{١٦} أحمد يسّ بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ١٦.

في الصورة التي تكون حقيرة ساقطة الدرجة، إذا عرفت هذا فنقول: أن بتقدير أن يكون الله تعالى مسمى بالشيء، كان أعظم الأشياء وأجلّها هو الله تعالى، فامتنع أن يحصل فيه جواز التخصيص، فوجب القول بأن ادّعاء هذا التخصيص محال.^{١٧}

(الحجة الثانية) قوله تعالى "ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير" حكم الله تعالى بأن مثل مثله ليس بشيء، ولا شكّ أن كل شيء مثل لمثل نفسه، وثبت بهذه الآية أن مثل مثله ليس بشيء ينتجّ أنه تعالى غير مسمى بالشيء، فإن قالو إن الكاف زائدة، قلن هذا الكلام معناه أن هذا الحرف من كلام الله تعالى لغو وعبث وباطل، ومعلوم أن هذا الكلام هو الباطل، ومتى قلنا إن هذا الحرف ليس بباطل صارت الحجة التي ذكرناها في غاية القوة والكمال.

(الحجة الثالثة) لفظ الشيء لا يفيد صفة من صفات الجلال والعظمة والمدح والثناء، وأسماء الله تعالى يجب كونها كذلك، ينتجّ أن لفظ الشيء ليس اسماً لله تعالى.^{١٨}

(الحجة الرابعة) أنه لم ينقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة أنه خاطب الله تعالى بقوله يا شيء، وكيف يقال ذلك وهذا اللفظ في غاية الحقارة، فكيف يجوز للعبد خطاب الله بهذا الإسم، بل نقل عنهم أنهم كانوا يقولون: يا منشئ الأشياء، يا منشئ الأرض والسماء.

^{١٧} أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ١٦-١٧.

^{١٨} أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ١٧.

المسألة الثانية: في بيان أنه هل يجوز إطلاق لفظ الموجود على الله تعالى؟ قال أن لفظ الوجود بالإشتراك على معنيين: أحدهما أن يراد بالوجود الوجدان والإدراك والشعور، ومتى أريد بالوجود الوجدان والإدراك فقد أريد بالموجود لا محالة المدرك والمشعور به، والثاني أن يراد بالموجود الحصول والتحقق في نفسه، وإطلاق لفظ الموجود على الله تعالى يكون على وجهين: أحدهما كونه معلوما مشعورا به، والثاني كونه في نفسه ثابتا متحققا، أما بحسب المعنى الأول فقد جاء في القرآن، قال الله تعالى "لوجدوا الله" ولفظ الوجود ههنا بمعنى الوجدان والعرفان، وأما بالمعنى الثاني فهو غير موجود في القرآن. ودلالة لفظ الموجود على المدح أكثر من دلالة لفظ الشيء عليه، وبيانه من وجوه: الأول أنه عند قوم يقع لفظ الشيء على المعدوم كما يقع على الموجود، أما الموجود فإنه لا يقع على المعدوم ألبتة، فكان أشعار هذا اللفظ بالمدح أولى. الثاني أن لفظ الموجود بمعنى المعلوم يفيد صفة المدح والثناء، لأنه يفيد أن بسبب كثرة الدلائل على وجوده والاهيته صار كأنه معلوم لكل أحد موجود عند كل أحد، يجب الإقرار به عند كل عقل، فهذا اللفظ أفاد المدح والثناء من هذا الوجه، فظهر الفرق بينه وبين لفظ الشيء.^{١٩}

المسألة الثالثة: في الذات، والمسألة الرابعة: في لفظ النفس، وهذا اللفظ وارد في القرآن، منها قال تعالى "ويحذركم الله نفسه"، والمسألة الخامسة: في لفظ الشخص.

والمسألة السادسة: في أنه هل يجوز إطلاق لفظ النور على الله، قال الله تعالى "الله نور السموات والأرض"، وأما الأخبار فروي أنه قيل لعبد الله بن عمر: نقل عنك أنك تقول الشقي من

^{١٩} أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ١٨-١٩

شقى في بطن أمه، فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله خلق الخلق في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور شيء فقد اهتدى، ومن أخطأ فقد ضلّ، فلذلك أقول جفّ القلم على علم الله تعالى.^{٢٠}

وذهب أحمد يس بن أشموني أن القول بأن الله تعالى هو هذا النور أو من جنسه قول باطل، واحتجّ بوجه: الأول أن النور إما أن يكون جسماً أو كيفية في جسم، والجسم محدث فكيفياته أيضاً محدثة، وحلّ الإله عن أن يكون محدثاً. الثاني أن النور تضادّه الظلمة، والإله منزّه عن أن يكون له ضدّ. الثالث أن النور يزول ويحصل له أفول، والله منزّه عن الأفول والزوال، وأما قوله تعال "الله نور السموات والأرض" فجوابه أن هذه الآية من المتشابهات، والدليل عليه ما ذكرناه من الدلائل العقلية، وأيضاً فإنه تعالى قال عقيب هذه الآية "مثل نوره" فأضاف النور إلى نفسه إضافة الملِك إلى مالِكه، فهذا يدلّ على أنه في ذاته ليس بنور، بل هو خالق النور.^{٢١}

بقي أن يقال: فما المقتضى لحسن إطلاق لفظ النور عليه؟ فنقال فيه وجوه: الأول: قرأ بعضهم "الله نور السموات والأرض" وعلى هذه القراءة فالشبهة زائلة، والثاني: أنه سبحانه منور الأنوار ومُبدِعها وخالقها، فهذا التأويل حسن إطلاق النور عليه. والثالث: أن بحكمته حصلت مصالح العالم، وانتظمت مهمات الدنيا والآخرة، ومن كان ناظماً للمصالح وساعياً في الخيرات فقد يسمى بالنور، يقال فلان نور هذه البلد، إذا كان موصوفاً بالصفة المذكورة. والرابع أنه هو الذي تفضل على عباده بالإيمان والهداية والمعرفة، وهذه الصفات من جنس الأنوار، ويدلّ عليه القرآن

^{٢٠} أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٢٢-٢٣.

^{٢١} أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٢٣.

والأخبار، أما القرآن فقوله تعالى في آخر الآية "نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء"، وأما الأخبار فكثيرة، منها^{٢٢}:

الخبر الأول ما روى أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله. الخبر الثاني: عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: هل تدرون أيّ الناس أكيس؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: أكثرهم للموت ذكرا، وأحسنهم له استعدادا، قالوا هل لذلك من علامة؟ قال: نعم، التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، فإذا دخل النور في القلب انفسح واتسع للإستعداد قبل نزول الموت.

الخبر الثالث: عن ابن مسعود قال تلا النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى "أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه" فقلت يا رسول الله كيف يشرح الله صدره؟ قال "إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح، فقلت ما علامة ذلك يا رسول الله؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والتأهب للموت قبل نزول الموت.

الخبر الرابع: عن أنس رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي في طريق إذ لقيه حارثة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف أصبحت يا حارثة؟ قال: أصبحت والله مؤمنا حقا، فقال عليه الصلاة والسلام: انظر ماتقول، فإن لكل حق حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ فقال عزفت نفسي عن الدنيا، وأسهرت ليلي، وأظمأت نهارى وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وإلى أهل النار يتعاونون فيها، فقال عليه الصلاة

^{٢٢} أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٢٣-٢٥.

والسلام: عرفت فالزم. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سرّه أن ينظر إلى رجل نور الله الإيمان في قلبه فليُنظر إلى هذا. ثم قال يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة ، فدعا له ، فنودي بعد ذلك: يا خويلد الله اركبي، فكان أول فارس ركب، فاستشهد في سبيل الله.

الخبر الخامس: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: بينما أنا جالس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ سمع صوتاً من فوقه، فرفع رأسه إلى السماء فقال: إن هذا الباب من السماء قد فتح، وما فتح قطّ، منزل منه ملك فقال: يا محمد أبشر بنورين لم يؤتئهما أحد من قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة.

الخبر السادس: عن يعلى بن منبه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يمرّ المؤمن على الصراط يوم القيامة فتناديه النار: جزعني يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهي. الخبر السابع: عن نافع عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: اللهم بك نصبح وبك نمسي، وبك نحيا وبك نموت، وإليك النشور، اللهم اجعلني من أفضل عبادك عندك حظاً ونصيباً في كل خير تقسمه اليوم، من نور تهدي به، أو رحمة تنشرها، أو رزق تبسطه، أو ضرّ تكشفه، أو بلاء تدفعه، أو سوء ترفعه، أو فتنة تصرفها.

الخبر الثامن: عن علي ابن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن أهل الجنة فقال: أهل الجنة شعث رؤوسهم، وسخة ثيابهم، لو قسم نور أحدهم على أهل الأرض لوسعهم.

الخبر التاسع: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم، وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا، وإذا قالوا لم ينصت لقولهم، حاجة أحدهم تتلجلج في صدره، لو قسم نوره على أهل الأرض لوسعهم.

الخبر العاشر: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إله الله عز وجل يقول: نوري هداي، ولا إله إلا الله كلمتي، فمن قالها أدخلته حصني ومن أدخلته حصني فقد أمن.

الخبر الحادي عشر: عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو "أعوذ بكلمات الله التامة، وبنوره الذي أشرقت له الأرض، وأضاءت به الظلمات، من زوال نعمتك، ومن تحوّل عافيتك، ومن فجأة نعمتك، ومن درك الشقاء وشرّ قد سبق.

الخبر الثاني عشر: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي سمعي نورا، وفي بصري نورا، والحديث مشهور.

والمسألة السابعة: في لفظ الصورة، والمسألة الثامنة: الفلاسفة قد يطلقون لفظ "الجوهر" على ذات الله، وكذلك النصارى، والمتكلمون يمتنعون منه، والمسألة التاسعة: أطلق أكثر الكرامية لفظ "الجسم" على الله تعالى، والمسألة العاشرة: في إطلاق لفظ "الآنية" على الله تعالى، والمسألة

الحادية عشر: في إطلاق لفظ الماهية عليه، والمسألة الثانية عشر: في إطلاق لفظ "الحق" على

الله. ٢٣

والثالثة البحث عن "ألا كل شئى ما خلا الله باطل"، والرابعة البحث عن الأسماء الدالة على الصفات الإضافية. وكل هذه المسائل قد بينها أحمد يس بن أشموني بيانا واضحا طويلا بتقديم آراء العلماء المتكلمين وانتجّه هو عنها، واستفاد من المنهج الإجتهادي والعقلي في التفسير والدفاع عن عقائد المسلمين. ٢٤

والبيان ماشاء الله بيان عجيب، فإن أحمد يس بن أشموني فسّر ويبّن عن لفظ الإسم في بسم الله الرحمن الرحيم بيان واضح وتفسير طويل يعني حسب اثنان وثلاثين صفحة بيانا عن المذاهب الكلامية، فإنه قدّم مذاهب المتكلمين وآرائهم عن تفسير الإسم فيه والألفاظ المتعلقة به من الأسماء الدالة على الصفات الحقيقية (مثل الذات، والنور، والجسم، والصورة، ولفظ الشخص، ولفظ الشئى، ولفظ النفس، ولفظ الموجود، والجوهر، ولفظ الآنية، والماهية، ولفظ الحقّ التي أطلق على الله) والأسماء الدالة على كيفية الوجود (يعني القديم، والأزلي، ولا أول له، والأبدي، والسرمدى، والمستمرّ، والممتد، ولفظ الباقي، والدائم، وواجب الوجود لذاته، والكائن التي أطلق على الله)، والأسماء الدالة على الصفات الإضافية، وغير ذلك. أما الذي قدّمها الباحث في هذه الرسالة العلمية فقليل منها، إنما هذا على سبيل المثال.

٢٣ أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ١٩-٢٧.

٢٤ أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٢٧-٣٨.

إن أحمد يُسن بن أشموني حين قدّم آراءه أو ردّ آراء العلماء الآخرين إنما قدّمها وبينها بكلام لئِن وحجج مبيّنة تأدّبا وتعظيما لهم، مثلا عند بيان أن القول بأن الله تعالى هو النور أو من جنسه قول باطل، احتج بثلاثة وجوه، وبين أن إطلاق لفظ النور على الله صار حسنا بأربعة وجوه، واحتجّ بآية القرآن والأخبار الواردة عنها.

٢. الإتجاه اللغوي

وقد فسّر أحمد يُسن بن أشموني بسم الله الرحمن الرحيم بالإتجاه اللغوي بحيث يفسرها ويشرحها عما يتعلق بالنحو والإعراب من الأسماء المترادفة، والأسماء المشتركة، وتأثير المعنى وتغييره بتغير الإعراب، وتأثير الإضافة في الإسم، والتقدير المحذوف، وإضمام الفعل وإضمام الإسم، والإشتقاق، وبيان فرقة العرب في استعمال اللغة ولهجتهم وبيان المشهور منها، وبيان النظر عن استعمال اللغة العربية والفارسية (البيان عن لفظ الإسم مثلا، الله اسم عربي وخداي اسم فارسي، وأما ذات الله تعالى فمنزّه عن كونه كذلك)، وتقديم أقوال العلماء اللغويين مثل الكسائي، والمبرد، والبصريين، والكوفيين، والأخفش، والخليل، وسيبويه، وتارة إطلاق لفظ النحويين حين تقدم آرائهم بدون ذكر أسمائهم.

سيقدم الباحث مثلا عن الإتجاه اللغوي الذي اعتمده أحمد يُسن بن أشموني، حين يفسّر

لفظ الباء في بسم الله، فإنه قال: فيه مسألتان:

المسألة الأولى: قد بينّا أن الباء من "بسم الله الرحمن الرحيم" متعلقة بمضمر، فنقول هذا

المضمر يحتمل أن يكون اسما، وأن يكون فعلا، وعلى التقديرين فيجوز أن يكون متقدما، وأن يكون

متأخراً، فهذه أقسام أربعة، أما إذا كان متقدماً وكان فعلاً فكقولك: ابدأ بسم الله، وأما إذا كان متقدماً وكان اسماً فكقولك: ابتداء الكلام بسم الله، وأما إذا كان متأخراً وكان فعلاً فكقولك: بسم الله أبدأ، وأما إذا كان متأخراً وكان اسماً فكقولك: بسم الله ابتداءً، ويجب البحث ههنا شيئين: الأول أن التقديم أولى أم التأخير؟ فنقول كلاهما وارد في القرآن، أما التقديم فكقوله "بسم الله مجراها ومرساها" وأما التأخير فكقوله "اقرأ بسم ربك"، وأقول التقديم عندي أولى، ويدل عليه وجوه: الأول أنه تعالى قدّم واجب الوجود لذاته، ليكون وجوده سابقاً على وجود غيره، والسابق بالذات يستحق السبق في الذكر، الثاني: قال تعالى "هو الأول والآخر" وقال "الله الأمر من قبل ومن بعد"، الثالث: أن التقديم في الذكر أدخل في التعظيم، الرابع: إنه قال "إياك نعبد" فهذا الفعل متأخر عن الإسم، فوجب أن يكون في قوله بسم الله كذلك، فيكون التقدير بسم الله ابتداءً.^{٢٥}

والمسألة الثانية: إضمار الفعل أولى أم إضمار الإسم، قال الشيخ أبو بكر الرازي: نسق تلاوة القرآن يدل على أن المضمّر هو الفعل وهو الأمر، لأنه تعالى قال "إياك نعبد وإياك نستعين" والتقدير قولوا إياك نعبد وإياك نستعين، فكذلك قوله: "بسم الله الرحمن الرحيم" التقدير قولوا بسم الله، وأقول لقائل أن يقول بل إضمار الإسم أولى، لأننا إذا قلنا تقدير الكلام بسم الله ابتداء كل شيء كان هذا إخباراً عن كونه مبدأً في ذاته لجميع الحوادث وخالفاً لجميع الكائنات، سواء قاله قائل أو لم يقله، وسواء ذكره ذاكراً أو لم يذكره، ولا شك أن هذا الإحتمال أولى، وتام الكلام فيه

^{٢٥} أحمد يسّ بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٤-٥.

يجئ في بيان أن الأولى أن يقال قولوا الحمد لله أو الأولى أن يقال الحمد لله، لأنه إخبار عن كونه في نفسه مستحقاً للحمد سواء قاله قائل أو لم يقله. -٢٦

وهذا بيان أحمد يس بن أشموني في تفسير حرف الباء في بسم الله وتقديره من جهة اللغوى، فإنه بيّن عن تقدير لفظ المحذوف قبل لفظ الإسم هل هو اسم أم فعل وبيّن أيضاً عن التقديم فيه أولى أم التأخير، وإضمار الفعل أولى أم إضمار الإسم؟ ويجب تقديم آراء الآخرين قبل تقديم آرائه فيه وهذا من حسن آدابه مع المتقدمين والسلف الصالح.

٣. الإتجاه الصوفى العملى

كما تقدّم البيان أن التصوف العملى هو التصوف الذي يقوم على النقشف والزهد والتفاني في طاعة الله تعالى، وكان أحمد يس بن أشموني يحبّ تقديم فضائل الأعمال حتّى للقارئ عملاً بها، فإنه في آخر هذا الكتاب يذكر ثلاث أبواب عنها مع الروايات الواردة عن النبي وأصحابه، يعنى:

(١) البحث عن أحاديث الصحيحة الواردة في فضائل البسملة الشريفة، وفيه ثلاثين ألفاظ الروايات التي أخرجها سبعة عشر مُحَرِّجاً، يعنى البخاري، وأحمد، وأبو داود، وابن خزيمة، وابن مردويه، والدارقطنى، والطبراني، والبخاري، وأبو الشيخ، وعبد الرزاق، وابن أبي حاتم، والحاكم، والبيهقي، وأبو ذر الهروي، والخطيب البغدادي، وأبو نعيم، وابن السنن، والديلمي، وابن أبي الدنيا، وابن أبي شيبة، وهذه الروايات مروية عن اثنان عشرة صحابة وصحابة، يعنى ابن عمر، وابن

^{٢٦} أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٥-٦.

عباس، وعائشة، وعلي بن أبي طالب، وأم سلمة، وبريدة، وابن مسعود، وأبو هريرة، وصفوان، وعطاء، وأنس بن مالك، وجابر، وسعيد ابن جبير، والشعبي رضي الله عنهم.^{٢٧}

ويحبّ الباحث تقديم فضائل البسملة الشريفة الواردة في الحديث التي قدمها أحمد يس بن أشموني، أخرج البخاري مثلاً عن جابر قال: اسم الله الأعظم هو الله، ألا تري أنه في جميع القرآن يبدأ به قبل كل اسم، وقال عليه الصلاة والسلام لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم فرح أهل السموات من الملائكة واهتزّ العرش لنزولها معها ألف ملك وزادت الملائكة إيماناً وخرت الجان على وجوههم وتحركت الأفلاك وذلت لعظمتها الأملاء.^{٢٨} ومنها أخرج وكيع والثعلبي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من أراد أن ينجيّه الله تعالى من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ليجعل الله له بكل حرف منها جنة من كل واحد. ومنها عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال قال النبي عليه الصلاة والسلام: لو كانت الأشجار أقلاماً والبحار مداداً واجتمعت الجنّ والإنس والملائكة كتاباً وكتبوا معنى بسم الله الرحمن الرحيم ألفي ألف سنة لما قدروا على كتابة عشر عُشْرِهِ، كذا في رسالة البسملة.^{٢٩} وعن النبي عليه الصلاة والسلام قال: إن قوماً يأتون يوم القيامة وهم يقولون بسم الله الرحمن الرحيم وتنقل حسناتهم على سيئاتهم فتقول الأمم الأخرى ما أرجح حسناتهم، إنما ذلك لأن ابتداء كلامهم بسم الله الرحمن الرحيم هي أسماء الله العظام، لو وضعت في كفة الميزان ووضعت السموات والأرض وما فيهن وما بينهن في كفة الميزان لرححت عليها بسم الله

^{٢٧} أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٥١-٥٥.

^{٢٨} أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٥١.

^{٢٩} أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٥٤.

الرحمن الرحيم وقد جعل الله تعالى لهذه الأمة آمنا من كل بلاء وحرزا من كل شيطان رجيم ودواء من كل داء ومن الخسف والحرق والمسخ والغرق ببركة بسم الله الرحمن الرحيم كذا في خواص القرآن. ٣٠

(٢) والبحث عن الخصائص في قراءة البسملة وبيان عددها، وفيه خمس وعشرون خصائص تقريبا من الروايات وغيرها، منها روي في التفسير الكبير عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: يا أبا هريرة إذا توضأت فقل بسم الله الرحمن الرحيم فإن حفظتك لا تستريح أن تكتب لك الحسنات حتى تفرغ، وإذا غشيت أهلك فقل بسم الله فإن حفظتك يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل من الجنابة فإن حصل لك من تلك الواقعة ولد كتبت لك الحسنات بعدد أنفاس ذلك الولد وبعدد أعقابه إن كان له عقب حتى لا يبقى منهم أحد. ومنها روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال عليه الصلاة والسلام من قال بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم صرّف الله عنه سبعين بابا من أنواع البلاء والهّم والغمّ واللمم. ٣١ ومنها من قرأها مائة مرة على وجع من كل الأوجاع أو على المسحور سبعة أيام متواليات أو زيادة أزال الله تعالى ذلك السحر والوجع عنه، ومن قرأها مائة مرة وثلاث عشرة مرة يوم الجمعة والخطيب على المنبر ويدعو مع الخطيب ويسأل حاجته يحصل مطلوبه. وقال الشيخ رحمه الله تعالى في خواص البسملة فاعلم أن خصائصها لا تعدّ ولا تحصى ولكن أوصيك يا أخي في الله: وليكن في أول أمورك جميعا مفتاحا بسم الله في جلوسك وعودك وقيامك ونومك ووضوئك وصلاتك وقرآتك

٣٠ أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٥٤-٥٥.

٣١ أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٥٨-٦١.

ومن فعلها في تلك الأحوال هون الله تعالى عليه سكرات الوت وسؤال منكر ونكير ويدفع عنه ضيق القبر ويوسع قبره وينوره ويخرج من قبره أبيض اللون ويتلألأ بالأنوار ويجاسب حسابا يسيرا ويشغل ميزانه ويمرّ على الصراط كالبرق الخاطف حتى يدخل الجنة بالمغفرة والسعادة كذا في خواص القرآن. ومنها روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال من كانت له حاجة فليصم الأربعاء والخميس والجمعة فإذا كان يوم الجمعة تطهر وراح إلى الجمعة فتصدّق بصدقة قلّت أو كثرت وما أكثر أفضل فإذا صلى الجمعة قال: اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم الذي ملأت عظمته السموات والأرض وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو عنت له الوجوه وخشعت له الأبصار ووجلّت القلوب من خشيته وذرفت منه العيون أن تصلّي علي محمد وعلى آل محمد وأن تعطيني حاجتي كذا وكذا وكان يقول لا تعلموها سفهاءكم فيدعو بعضهم علي بعض فيستجاب لهم. وقال عليه الصلاة والسلام: لا يرّد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم كذا في تفسير الفاتحة.^{٣٢}

(٣) والبحث عن الخصائص في كتابة البسملة وفي حملها، وفيه ثلاث وثلاثون خصائص تقريبا من روايات الواردات وغيرها، منها عن سعيد ابن سكينه أنه قال بلغني أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه نظر إلى رجل يكتب "بسم الله الرحمن الرحيم" فقال له جودها فإن رجلا جودها غفر له. وعنه أيضا أنه قال إن تجويد بسم الله الرحمن الرحيم يحسن الوجه.^{٣٣} وروي أن فرعون قبل ادّعاء

^{٣٢} أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٦٠-٦١.

^{٣٣} أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٦١-٦٢.

الألوهية بنى قصرا وأمر أن يكتب عليه بسم الله الرحمن الرحيم على بابه الخارج فلما ادعى الربوبية أرسل الله إليه موسى عليه السلام يدعوه إلى الإيمان فلم يقبل فقال إلهي لم أمهلته لا أدري به خيرا فقال الله تعالى يا موسى أنت تنظر إلى كفره وتريد إهلاكه وأنا أنظر إلى ماكتبه على بابه، وفيه إشارة إلى أن من كتب هذه الكلمة على باب داره الخارج صار آمنا من الهلاك وإن كان كافرا، فالذي كتب على سويداء قلبه من أول عمر إلى آخره كيف لا يكون آمنا من هلاك الدنيا والآخرة كذا ذكره الإمام فخر الرازي.^{٣٤}

٤. الإتجاه الفلسفي

كما تقدم بيانه في البحث النظري أن الإتجاه الفلسفي هو التفسير الفلسفي وهو يفسر آيات القرآن بأصول أو نظريات الفلسفة كالتفسير بالرأي. وفي ذلك الحال أن آيات القرآن وظيفته لمداغة الرأي المكتوب ليس الرأي مدافعةً للآيات.^{٣٥} وفي هذا الكتاب المبحوث قدم أحمد يس بن أشموني رأيه حين يفسر كلمتي الرحمن الرحيم، فإنه بين أولاً أن الأشياء على أربعة أقسام. الأول هو الذي يكون نافعا وضروريا معا - فإما أن يكون كذلك في الدنيا فقط، وهو مثل النفس - فإنه لو انقطع منك لحظة واحدة حصل الموت، وإما أن يكون كذلك في الآخرة، وهو معرفة الله تعالى، فإنها إن زالت عن القلب لحظة واحدة مات القلب، واستوجب عذاب الأبد. والثاني وهو الذي يكون نافعا ولا يكون ضروري، فهو كالمال في الدنيا وكسائر العلوم والمعارف في الآخرة. والثالث وهو الذي يكون ضروريا ولا يكون نافعا فكالمضار التي لا بد منها في الدنيا كالأفراض، والموت، والفقر، والحرم،

^{٣٤} أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٦٣-٦٤.

^{٣٥} أحمد عفيف الدين دمياطي، علم التفسير أصوله ومناهجه (سيدورجو: مكتبة لسان عربي، ٢٠١٦)،

ولا نظير لهذا القسم في الآخرة، فإن منافع الآخرة لا يلزمها شئ من المضار. والرابع وهو الذى لا يكون نافعا ولا ضروريا فهو كالفقر في الدنيا والعذاب في الآخرة.^{٣٦}

ويبين أننا جوهر مركب من نفس، وبدن وروح، وجسد، ولا شك أن النفس كانت جاهلة في مبدأ الفطرة واستدلّ بقول الله تعالى "والله أخرجكم من بطون أمهتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون"، وأما البدن جوهر مركب من الأخلاط الأربعة، وهذه من نعمه تعالى لنا التي لا نستطيع أن نحصى ولا نعدّ، وقال تعالى "وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها". فهذا أول بيانه عن الرحمن والرحيم.^{٣٧}

ثم قرّر الحق أن الرحمة ليست إلا لله، ويدلّ عليه وجوه: الأول أن الجود هو إفادة ما ينبغي لا لعوض، فكل أحد غير الله إنما يعطي ليأخذ عوضا، إلا أن الأعواض أقسام، منها جسمانية، ومنها روحانية، الثاني أن كل من سوى الله فهو ممكن لذاته، والممكن لذاته لا يوجد إلا بإيجاد واجب الوجود لذاته، فكل رحمة تصدر من غير الله فهي إنما دخلت في الوجود بإيجاد الله فيكون الرحيم في الحقيقة هو الله تعالى. الثالث أن الإنسان يمكنه الفعل والترك، فيمتنع رجحان الفعل على الترك إلا عند حصول داعية جازمة في القلب، فعند عدم حصول تلك الداعية يمتنع صدور تلك

^{٣٦} أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٤٧-٤٨.

^{٣٧} أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٤٨-٤٩.

الرحمة منه، وعند حصولها يجب صدور الرحمة منه، فيكون الرحيم في الحقيقة هو الذي خلق تلك الداعية في ذلك القلب، وما ذاك إلا الله تعالى، فيكون الرحيم في الحقيقة هو الله تعالى.^{٣٨}

ثم بتقدير أن تكون لغير الله رحمة إلا أن رحمة الله أكمل وأعظم من رحمة غيره، وبيانه من وجوه: الأول أن الإنعام يوجب علو حال المنعم ودناءة حال المنعم عليه بالنسبة إلى المنعم، والثاني إن الله تعالى إذا أنعم عليك بنعمة طلب عندها منك عملاً تتوصل به إلى استحقاق نعم الآخرة، فكأنه تعالى يأمرك بأن تكتسب لنفسك سعادة الأبد، وأما غير الله فإنه إذا أنعم عليك بنعمة أمرك بالإشتغال بخدمته والإنصراف إلى تحصيل مقصوده، ولا شك أن الحالة الأولى أفضل. والثالث أن المنعم عليه يصير كالعبد للمنعم، وعبودية الله أولى من عبودية غير الله، والرابع أن السلطان إذا أنعم عليك فهو غير عالم بتفاصيل أحوالك، فقد ينعم عليك حال ما تكون غنيا عن إنعامه، وقد يقطع إنعامه حال ما تكون محتاجاً إلى إنعامه، وأيضاً فهو غير قادر على الإنعام عليك في كل الأوقات وجميع المرادات، أما الحق تعالى فإنه عالم بالمعلومات قادر على كل الممكنات، فإذا ظهرت بك حاجة عرفها، وإذا طلبت منه شيئاً قدر على تحصيله، فكان ذلك أفضل، والخامس الإنعام يوجب المنّة، وقبول المنّة من الحق أفضل من قبولها من الخلق، فثبت أن الرحمن الرحيم هو الله تعالى.^{٣٩}

فسر أحمد يس بن أشموني كلمتي الرحمن الرحيم في بسم الله الرحمن الرحيم بالنظائر بأن الأشياء على أربعة أقسام، ثم دعا القارئ لل نظر إلى نعم الله الكثيرة التي لا تحصى عدده من نعمة النفسي، والروحي، والبدني، فإن كل ما وجدناه ووصلت إلينا فهو قطرة من بحار رحمة الله وذرة من

^{٣٨} أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٤٩.

^{٣٩} أحمد يس بن أشموني، تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، ٤٧-٥٠.

أنوار إحسانه، فإنه رحمن رحيم، ثم حَقَّق وقرَّر أن الرحمة الحق من الله فإنه رحمة واسعة عامة لا لطلب عوض ما، والرحمة من غيره صادر منه، وإما لعوض جسمانية، وإما روحانية، لأن ما سوى الله مخلوق والمخلوق ضعيف يحتاج بعضه إلى بعض ويحتاج إلى رحمة الله تعالى، فهذا من حسن بيانه وشرحه وتفسيره يتعلَّق بالنظر الفلسفي، وهذا طالع من تعمق العلوم منه وأهليته.

إن أحمد يُس بن أشموني نقل آراء الفلاسفة وأقوالهم كثيرا، ولم يذكر أسمائهم، إنما ذكر الفلاسفة فقط، مثل "أما الفلاسفة فقالوا، الفلاسفة قد يطلقون، أن هذه اللفظة تستعملها الفلاسفة، قالت الفلاسفة، الفلاسفة ينكرونه، وغير ذلك. وذكر أيضا عن المذاهب الفقهية قليلا، فمنها عند بيان أن البسملة آية من كل سورة أم لا، وبيان حكم قرائتها للحائض والنفساء.

ومن اتجاهات المتنوعة لأحمد يُس بن أشموني في تفسير البسملة التي انتج الباحث من الكلامي، واللغوي، والفلسفي، والصوفي العملي، ذهب الباحث أنه أكثر ميلا إلى الإتجاه الكلامي لأنه في جميع الأحوال في تفسيره تقريبا يقصد إلى التفسير الكلامي ولو كان في أوله بيّن عن اللغة مثلا، وهو يجبّ البيان عن الكلام وتقديم مذاهب المتكلمين فيه.

وعند الباحث أن المصادر التي نقل منها أحمد يُس بن أشموني في كتابه (تفسير بسم الرحمن الرحيم) وهي القرآن الكريم، وكتب الأحاديث (يعني ما رواه البخاري، وأحمد، وأبو داود، وابن خزيمة، وابن مردويه، والدارقطني، والطبراني، والبزار، وأبو الشيخ، وعبد الرزاق، وابن أبي حاتم، والحاكم، والبيهقي، وأبو ذر الهروي، والخطيب البغدادي، وأبو نعيم، وابن السني، والديلمي، وابن أبي الدنيا، وابن أبي شيبه عن اثنان عشرة صحابة وصحابة، يعني ابن عمر، وابن عباس، وعائشة،

وعلي ابن أبي طالب، وأم سلمة، وبريدة، وابن مسعود، وأبو هريرة، وصفوان، وعطاء، وأنس بن مالك، وجابر، وسعيد ابن جبير، والشعبي رضي الله عنهم)، ومفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي، وتفسير ابن النقيب، وتفسير تاج الدين، وتفسير روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، والإتقان في علوم القرآن، وحسن المحاضرة للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، وجواهر القرآن لحجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي، ودلائل النبوة، وبحر العلوم، وخواص البسملة، وتفسير الفاتحة، وتفسير التيسير، وأسباب التنزيل^{٤٠}. وتارة راجع الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم من الكتاب المسمى بالفاروق لعبد الله الأنصاري، وذكر في خاتمة كتابه أنه راجع كثيرا في تفسيره إلى تفسير الكبير للإمام فخر الرازي بقوله: "قد تمت هذه الرسالة بعون الله تعالى وأكثر عبارتها مأخوذة من تفسير الكبير للإمام فخر الرازي".

^{٤٠} إن مصادر التي راجع إليها أحمد يس بن أشموني تارة يذكر اسم الكتاب فقط بدون مؤلفه.